

**مقدمة:**

لما كان الاختلاف قضية لا بد من حدوثها وكان الحوار سبيلاً للإقناع و إقامة الحجة، كان لا بد لهذا الحوار الذي سيقابل المسلم في بيته مع زوجه و أبنائه، وفي خارجه مع إخوانه و زملائه، أو من يقابلة من مسلم مؤمن بالله أو كافر جاحد للإسلام، كان لا بد لهذا الحوار من آداب ، وقد جاء في الكتاب و السنة من ذلك شيء عظيم الفائدة كثير العائد، وبين لنا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بأمثلة واقعية حصلت معه لتكون لنا مدرسة عملية.

عناصر الخطبة:

- 1 حواره مع المسلم.
- 2 حواره مع المشرك.
- 3 حواره مع المنافق.
- 4 حواره مع الجاهل.
- 5 الحرث على استقطاب المخالف و هدايته.

1- حواره مع المسلم

في غزوة حنين رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتآلف البعض بالغائم تأليفاً لقلوبهم، وذلك لحداثة عهدهم بالإسلام، فأجزل العطاء لزعماء قريش وغطفان وتميم، إذ كانت عطيه الواحد منهم مائة من الإبل، وقد تأثر بعض الأنصار بحكم الطبيعة البشرية، وظهر بينهم نوع من الاعتراض على ذلك، فراعي النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاعتراض وعمل على إزالته بحوار رقيق، يتسم بالحكمة والرفق، والود والحب .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (لما أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد -غضب- هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كنرت فيهم القالة، حتى قال قائلهم : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟، قال: يا رسول الله، ما أنا إلا امرؤ من قومي، وما أنا من ذلك، قال : فاجتمع لي قومك في هذه الحظيرة، قال : فخرج سعد فجمع الناس في تلك الحظيرة، قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا أتاهم سعد، فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، قال : فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال : يا معاشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم

وَجِدَةً وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنفُسِكُمْ، أَلَمْ تَكُونُوا ضَلَالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ، وَعَالَةٌ – فَقَرَاءٌ – فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ، وَأَعْدَاءُ فَأَلَفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟، قَالُوا: بِلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَمْنٌ وَأَفْضَلُ، قَالَ: أَلَا تَجِبُونِي يَا مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ؟، قَالُوا: وَبِمَاذَا نَجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ وَلِرَسُولِهِ الْمَنْ وَالْفَضْلُ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شَئْتُمْ لِقَلْتُمْ فَلَاصِدَقُوتُمْ وَصُدِّقُوتُمْ، أَتَيْتُنَا مُكَذِّبًا فَصَدَقْنَاكُمْ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكُمْ، وَطَرِيدًا فَأَوْيَنَاكُمْ، وَعَائِلًا فَآسِيَنَاكُمْ، أَوْجَدْتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ يَا مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدِّينِ تَأْلَفُتُمْ بِهَا قَوْمًا يُلِسْمِلُوكُمْ، وَوَكْلَتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَلَا تَرْضُونَ يَا مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاهَةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رَحَالِكُمْ؟، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ يَبْدِئُ لَوْلَا الْهِجْرَةِ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتُ الْأَنْصَارُ شَعْبًا لِسَلَكْتُ شَعْبًا لِأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ أَرْحَمَ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوكُمْ لَهَّا، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسْمًا وَحْظًا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقُوا (رواہ البخاری ومسلم ،رواه أحمد: 255)

لقد وجد الأنصار في أنفسهم كما يجد أي إنسان من أنهم هم الذين قاتلوا وجاحدوا ثم بعد ذلك تصرف الأموال إلى غيرهم، بل إلى رؤساء أعدائهم، لذلك قالوا في رواية أخرى للحديث: (يعطي قريشاً وسيوفنا لا زالت تقطر من دمائهم) في ظاهر الأمر يحق لهم أن يعتبوا، ولكن نظر النبي صلى الله عليه وسلم أوسع من نظرهم، والمصلحة التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم في إعطاء المؤلفة قلوبهم كانت أكبر من إعطاء الأنصار تلك اللعاعة من الدنيا ولذلك وكلهم إلى إيمانهم، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار وحدهم واتبع معهم أسلوباً تربوياً حكيماً رقيقاً خاطب فيه عقولهم وعواطفهم، فكانت النتيجة أن انقادوا طائرين راضين بقسمة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن القيم ينوه بما في هذا الحوار النبوي من النفع: "ولما شرح لهم صلى الله عليه وسلم ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع رجعوا مذعنين، ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عَوْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بِلَادِهِ" .

2- حواره مع المشرك

انظر إلى هذا الحوار الرأقي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين عتبة بن ربيعة من سادة قريش.. يقول عتبة بن ربيعة وهو يساوم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك الإسلام: «يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّكَ مَنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السِّلْطَةِ فِي الْعِشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسْبِ، إِنَّكَ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرَقْتَ بِهِ جَمَاعَتِهِمْ، وَسَفَهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ، وَعَبَّتَ بِهِ آلَهَتِهِمْ وَدِينَهُمْ، وَكَفَرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِي أَعْرَضْ عَلَيْكَ أَمْوَارًا تَنْتَظِرُ فِيهَا لَعْلَكَ تَقْبِلُ مِنْهَا بَعْضَهَا». فقال له رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم: «فُلْ يا أبا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ». قال: «يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّكَ مَنَّا تَرِيدُ بِمَا جَئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَا لَأَ جَمِعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرُنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ بِهِ شَرْفًا سُوْدَنَاكَ عَلَيْنَا حَتَّى لَا نَقْطِعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ بِهِ مُلْكًا مُكَنَّاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَئِيْسًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ طَلَبْنَا لَكَ الْطَّبِ وَبِذَلِّنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبَرِّئَكَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ رَبِّما غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَأْوِي مِنْهُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ عَتَّبَ، وَرَسُولُ اللَّهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ مِنْهُ قَالَ: أَقْدَ فَرَغْتَ يَا أبا الْوَلِيدِ؟» قال: نعم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: فَاسْمَعْ مِنِّي، قال: أَفْعُلُ.

فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حَمْ * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُحْشِيَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * يَشِيرًا وَتَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْتَنَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذِنَنَا وَقُرْ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) (فصلت 1-5)

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنسَت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قَدْ سَمِعْتَ يَا أبا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ فَأَنْتَ وَذَاكَ.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورأي أني قد سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشّعر ولا بالكلمات. يا عشر قريش، أطيعوني، واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأً عظيم، فإن تُصِّبُّ العرب فقد كُفِيتُمُوه بِغَيْرِكُمْ، وإن يظهر على العرب فمَلْكُكُمْ مُلْكُكُمْ، وعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه!! قال: هذا رأي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم .

هذا الحوار في غاية الأهمية؛ فعلى الرغم أن عتبة بن ربيعة كان قد قدّم كلامه بمجموعة من التّهم الموجّهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن رسول الله ظل على هدوء أعصابه ولم ينفعل، إنما واصل الاستماع في أدبٍ واحترام، مع أن عتبة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم التنازل عن دعوته مقابل ما يعرضه عليه من مغريات الدنيا، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم أن يستمع إليه، بل قال له: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ.. فهو يُكتنِيه بِكتينَتِه، أي يُناديه بأحب الأسماء إليه ويلاطفه ويرقّ قلبه، ولما عرض عتبة بن ربيعة الأمور التي جاء بها لم يقاطعه النبي صلى الله عليه وسلم مع سفاهة العروض وتفاهاها، بل إنه صبر حتى النهاية، وقال في أدبٍ رفيع: أَقْدَ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؛ قال: نعم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَاسْمُعْ مِنِّي».

لقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الفرصة كاملة لعتبة لكي يتكلم ويعرض وجهة نظره، وبعد انتهاءه تماماً بدأ رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم في الكلام؛ ليضرب لنا بذلك أروع الأمثلة في التحاور مع الآخرين، وإن كانوا مخالفين تماماً في العقيدة والدين.

ماذا لو لم يسمح رسول الله لعتبة بأن يتم كلامه وقال له أنا على حق وأنت على باطل، أو قال له بل أنت استمع مني ومثلي لا يستمع لمثلك، أو رفض أن يجلس معه ويحاوره؟! أكان عتبة سيخرج بمثل ما خرج به، أكان سيستمع لكلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ أكان سيخرج مادحًا لدين النبي صلى الله عليه وسلم؟
فصلى الله على الرحمة المهدأة، نبي الحكمة والحلم والأناة.

3- حواره مع المنافق:

لقد لقي النبي عليه الصلاة والسلام من المنافقين ما تشيب منه النواصي من المواقف الدنيئة، والأفعال الساقطة. ومع ذلك فقد كان عليه الصلاة والسلام يعاملهم بما يشبه معاملة المهددين من المسلمين من الرحمة والرفق، ومعاملة الإساءة بالعفو أو الإحسان.

وكان يحاورهم بالطف المحاورة، ويحملهم على ظواهرهم، دون بحث عما تكنه سرائرهم، وتنطوي عليهم دخائل نفوسهم. ويشهد لذلك حوادث كثيرة، ولعل أجلاها ما كان من أمره مع رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول، وإليك طرفاً من ذلك. جاء في البخاري عن أسامة بن زيد، أن النبي صلى الله عليه وسلم (ركب على حمار على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة فيبني الحارث من الخزرج قبل وقعة بدرا، حتى مر بمجلسٍ فيه عبد الله بن أبي قبل أن يسلم عبد الله ابن أبي _ أي: يتظاهر بالإسلام_ فإذا في المجلس أخلاقٌ من المسلمين والمشركين عبادة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيتِ المجلس عجاجة الدابة خمرَ عبد الله بن أبي أنه بردائه، ثم قال: لا تغروا علينا، فسلم رسول الله عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله ابن أبي بن سلول: أيها المرء! إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلتك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال: عبدالله بن رواحة: بلّي يا رسول الله فاغشنا به في مجلسنا فإننا نحب ذلك، فاستب المسلمين والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورومن، فلم ينزل النبي "يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ دَابَّتِهِ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: يَا سَعْدَ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا

قال أبو حباب _يريد عبد الله بن أبي_ قال: كذا وكذا

قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك وقد اصطلاح أهل هذه البحيرة - البلدة وهي يثرب - التي صارت المدينة وطيبة على أن يتوجوه فيعصيّوه بالعصابة _أي: يتوجوا عبد الله بن أبي ملكاً عليهم _فلما أبى الله ذلك، فاتت الفرصة على عبد الله بن أبي، وفاته الملك للإسلام الذي جاء؛ فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك _أي: غص به وكرهه _فذك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله (البخاري:

(4566)

فهذا الحديث من أعظم ما يكون من أمثلة التعامل مع المخالف.

ولو أراد باحث أن يستقصي ما فيه مما يتعلق بالحوار لطال به المقام؛ فانظر كيف استُقبلَ عليه الصلاة والسلام بذلك الاستقبال الفاتر الذي لا يليق بأحاط الناس فكيف بخير الناس، حيث غطى ابن أبي أنه بردائه إشارة إلى الكراهة. ولم يكتف بذلك، بل قال: (لا تغروا علينا) فاجتمع في الإساءة إشارةً اليدين، وإطلاق اللسان.

ولم ينل ذلك الموقف نيله من النبي عليه الصلاة والسلام بل سلم عليهم؛ فلم يقابل إساعتهم إلا بالإحسان، ثم وقف وتواضع فنزل عن دابته ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، ثم أعطى الفرصة لمحاوريه، فتقدمهم عبد الله بن أبي، فقال بكل صفافة وشك: (أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه) فقد نادى النبي صلى الله عليه وسلم "بنداء المُنْكِر له ولنبيته فقال: (أيها المرء)

ولم يقل: يا نبي الله أو يا أبي القاسم أو يا محمد.

وبعد أن استَبَ المجلس، وكادوا يتقاذرون صار عليه الصلاة والسلام يخفضهم بلهجته الهادئة الرحيمة حتى سكنوا، وزالت عنهم سورة الغضب.

ثم لما لم يجد للحوار قيمة بعد ذلك ركب دابته، وانصرف.

وهل وقف الأمر عند هذا ؟ لا، بل إنه لما دخل على سعد بن عبادة قال عليه الصلاة والسلام: يا سعد ! ألم تسمع ما قال أبو حباب _يريد عبد الله بن أبي_ قال: كذا وكذا.

فتتأمل هذا الأدب الرفيع، وهذه النفس الكبيرة، وذلك القلب المفعم بالحب والعدل والإحسان، لم يقل: ألم تسمع ما قال ذلك الأشقي، أو الألد، أو غيرها من الألفاظ التي تليق بعبد الله بن أبي، بل لم يُسمِّه باسمه المجرد، ولم يقل: ابن أبي، وفي ذلك عدل وإنقاض.

وإنما ارتقى؛ لي Finch عما هو أعظم من ذلك، وليبين مدى تسامحه، ورفته، وسلامة صدره، وترفعه؛ فكان بكنيته وقال: أبو حباب.

والتكنية المحببة إلى الإنسان هي مما يسره؛ ولا يقولها من في نفسه غضب أو غضاضة، ومع ذلك كان بكنيته المحببة إليه، مع أن ابن أبي ناداه بـ: (يا أيها المرء)

ثم تأمل ما كان من ذلك السيد الألمعي الصحابي الجليل سعد بن عبادة؛ حيث لمح تأثير النبي " وأدرك سعَةَ نفسه، وكَبَرَ قلْبه بـ: بتكنيته ابن أبي، فأراد تسليته وطلب العفو منه؛ فطابت نفسه عليه الصلاة والسلام وعفا عن ابن أبي.

وهل صار لذلك الحوار، وتلك الإساءة من ابن أبي أثر في نفس النبي " وهل قطع إحسانه عنه؟ أو جعلها ذريعة للحقيقة فيه؟. وهل توقف ابن أبي عن مخازيه؟ لا؛ فهو الذي آذى النبي أيمًا أذية؛ حيث آذاه في بيته كما في قصة الإفك _ فهو الذي تولى كبره، وأشاع حالة السوء عن عائشة رضي الله عنها.

وهو الذي رجع بمن تبعه من الطريق يوم أحد، فخذل النبي صلى الله عليه وسلم في أخرج أوقاته،

وهو الذي قال : (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَّ الْأَعْزَمُونَ مِنْهَا الْأَذْلَ) (المنافقون: 8)

وهو صاحب المواقف المشهورة بالخزي والشمار.

هذا الرجل الذي كان من شأنه ما كان لما مات طلب ابنه من النبي قميصه؛ ليكتفه فيه تطهيراً له؛ فأعطاه قميصه كفناً لزعيم المنافقين !

أرأيت أكرم من هذا الصنيع؟ وهل وقف الأمر عند هذا الحد؟
فهذه بعض مواقفه مع زعيم المنافقين، فما ظنك بمن دونه؟

ولأرباب أن لتلك الحوارات والمواقوف أثراها البالغ على المواقف والمخالف، فالموافق يأخذ العبرة فيصبر على جفاء المسيء،
ويتضرر حسن العاقبة.

والمخالف يُقصِّر عن التمادي، ويراجع نفسه، وربما رجع عن غيه؛ لأن النار إنما تذكى بالعودين.
ومالمتأمل للسيرة النبوية يلحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليستعدِّي أحداً من الناس كائناً من كان، بل كان يخطب
اللود في كافة حواره، وفي أي فرصة تنسح له.

4- حواره مع الجاهل:

عن أنس رضي الله عنه قال: (بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبْولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزَرْمُوهُ دَعْوَهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى يَالَّ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِّنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَدَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةَ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِّنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِّنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ) (رواه مسلم/285)

قال ابن حجر: " وفيه الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمـه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عـنـادـاً .

وقال النووي: " وفيه الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمـه من غير تعنيف ولا إـيـذـاءـ، إذا لم يـأتـ بالمخالفة استخفافـاـ أو عـنـادـاـ ،
وفيـهـ دفعـ أعـظمـ الضـرـرـيـنـ باـحـتمـالـ أـخـفـهـمـاـ .

فانظر كيف حاور هذا الأعرابي حواراً عقلياً رقيقاً حتى عقل عنه واستسلم لحكم الشرع وأذعن، ولو قوبل بقسوة فلربما آذى
بأكثر من ذلك ولباء بإثم مخالفته للشرع وعدم استسلامـهـ لهـ، فصلـىـ اللهـ عـلـىـ مـعـلـمـ الـبـشـرـيـةـ وـمـنـ هوـ بـالـمـؤـمـنـيـنـ رـؤـوفـ رـحـيمـ.

5- الحرص على استقطاب المخالف وهدايـهـ:

إن المسلم يقصد من حواره مع المخالف أن يجذبه للحق الذي يحمله ويدين به، وأن يستخرجه من ظلمات الجهل أو الكفر،
وهذا لن يتحقق إلا بالرحمة بالمخالف والرفق واللين معه حتى يُؤتي الحوار ثماره، ولا أعظم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم معلماً لورثته من العلماء والدعاة وطلاب العلم آداب الحوار، ومنها:
أـ احـترـامـ شـخـصـ المحـاـوـرـ معـ بـيـانـ خـطـأـهـ بـأـدـبـ:

لقد علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم الطريقة المثلثـيـةـ فيـ التعـاملـ معـ غـيرـ المـسـلـمـيـنـ، فـدـلـلـنـاـ عـلـىـ أـنـ لاـ يـكـفيـ أـنـ تـعـرـفـ
بـوجـودـ الآـخـرـيـنـ، وـلـكـنـ عـلـيـكـ أـيـضـاـ أـنـ تـحـرـمـهـمـ.. وـلـمـ يـكـنـ هـذـاـ الـأـمـرـ اـجـتـهـادـاـ مـنـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـىـ وـسـلـمـ دونـ وـحـيـ رـبـانـيـ أوـ
أـمـرـ إـلـهـيـ، بلـ كـانـ موـافـقاـ تـامـاـ لـمـاـ جـاءـ فـيـ كـلـامـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ فـيـ شـأنـ التـعـاملـ معـ الـمـخـالـفـيـنـ لـنـاـ فـيـ
الـعـقـيدةـ وـالـدـينـ.

يقول الله عز وجل في كتابه يعلمـنا طـرـيقـةـ التـحاـوـرـ معـ غـيرـ المـسـلـمـيـنـ: (فُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قُلْ لَا تُسَأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسَأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا

إن رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم يعلم على وجه اليقين أنه على الحق والهدى، ومع ذلك أمره الله في تحاوره مع المشركين أن يقول لهم: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)

إنها الأرضية المشتركة التي نقف عليها، أحدها على حق والآخر على باطل، فلنناقش ولنتحاور حتى نصل إلى الحقيقة الغائبة..

إنها طريقة الحوار المثلث، وغاية الأدب، ومنتهى سمو الأخلاق. ثم يعلمه الله أن يخاطبهم في أدب جمّ فيقول لهم: (قُلْ لَا تُسَأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسَأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

إنه ينسب لفظ «الجُرم» إلى نفسه، وهو عادة يأتي في الأخطاء والزلات، وينسب لفظ «العمل» لهم وهو يتحمل الصلاح أو الفساد.

ثم إنه يُسلِّم الأمر كله لله، فيقول: إن الله سيجمع بيننا جميعاً يوم القيمة، ويحكم بيننا بالحق الذي يراه، فنعرف ساعتها من الذي أصاب ومن الذي أخطأ.

إنها أرقى وسيلة ممكنة من وسائل التحاور، لا تحمل أي صورة من صور العصبية والتزمت، إنما فيها كل الأدب، وكل التقدير للطرف الآخر.

ومثل هذا يقال على ما جاء في القرآن محدداً طريقة الحوار مع أهل الكتاب، قال تعالى: (وَلَا تُجَارِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْأَيْتِيْ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت: 46)

إنه لا يطلب منا أن نتحاور مع أهل الكتاب بأسلوب حسنٍ فقط، بل يطلب منا دائماً أن نبحث عن الأسلوب الأحسن والأفضل والأجمل.

ثم انظر إلى تقريب العقول وترقيق القلوب، حين يقول: (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).

إنه لا ينظر فقط إلى نقاط الخلاف، وإنما يبدأ أولاً في نقاط الاتفاق وينطلق منها.

وعلى هذا النسق راجع الآيات القرآنية ل تستمتع بالكنوز الأخلاقية.. يقول تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةِ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهُدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: 64)

ويقول تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفُحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: 109).

ب - الإنصات للمحاور:

ومن جمال الحوار أن رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم كان يستمع إلى مخالفيه وينصت، حتى لو كانت عروضهم غير مقبولة عقلاً أو شرعاً، فكان يعطيهم فرصة الكلام والتعبير عن الرأي؛ لتناح له بعد ذلك فرصة الكلام وشرح ما يدعو إليه، ومن ذلك قوله لعتبة: (قل يا أبا الوليد أسمع)، وقوله له كذلك: (أفرغت يا أبا الوليد).

ج - إِنْزَالُ الْمَحَاوِرِ مِنْزَلَهُ:

جاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل ملك الروم كتاباً دعا فيه إلى الإسلام، وفيه: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى هَرْقُلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَيَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَائِيَّةِ إِلَسِلَامِ، أَسْلَمْ تَسْلِمْ يُؤْتَكَ اللَّهُ أَجْرُكَ مُرْتَبِكَ، فَإِنْ تُوْلِيَتْ فَإِنْ عَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرْبَيْسِيْنِ - الْفَلَاحِينَ وَالْأَتْبَاعِ - وَ(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنُكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْنَا فَقُولُوا: اشْهُدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آل عمران 64، رواه البخاري/ 7، ومسلم/ 1773)

فمن آداب الحوار النبوى مع الآخرين الاستماع والمناقشة، وإنزال الناس منازلهم فقد قال - صلى الله عليه وسلم - لعتبة (أفرغت يا أبا الوليد)، وقال لهرقل ملك الروم النصراني (من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم) وذلك الأدب النبوى في الحوار أصله قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم)

ومن شواهد ذلك ما جاء في حديث وفد عبدالقيس لما وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن وفد عبدالقيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال: من القوم، أو من الوفد؟ قالوا: ربعة، قال: مرحباً بال القوم غير خزايا ولا ندامى) (البخاري/ 7266)

وكان سبب استفساره هو الرغبة في التعرف عليهم؛ لينزلهم منازلهم، ويتحدث معهم مراعياً أحوالهم.
قال ابن أبي جمرة تعليقاً على الحديث: فيه دليل استحباب سؤال القاصد عن نفسه؛ ليُعرَفَ، فُينْزلَ منزلته.

د - النظر في شبكات المحاورين، والإجابة عنها:

ففي ذلك إرضاء لهم، وتطييب لنفسهم. ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في الصحيحين عن سهل بن حنيف أنه قام يوم صفين، فقال: (أيها الناس اتهموا أنفسكم لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، فجاء عمر فأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألسنا على حق، وهم على باطل؟ قال: بلـ، قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلهم في النار؟ قال: بلـ، قال: فعلم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فـقال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبداً).

قال: فانطلق عمر ولم يصبر متغيفاً حتى أتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ فقال: بلـ، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: بلـ، قال: فعلم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟
قال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً، قال: فنزل القرآن على محمد بالفتح، فأرسل إلى عمر فاقرأه إيهـ، قال: يا رسول الله أـ و فـ هو؟ قال: نـ، فـطـابـتـ نـفـسـهـ، وـرـجـعـ) (البخاري/ 3182، ومسلم/ 1785).

هـ - العدل والإنصاف:

قال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (المائدة: 8)

فالمسلم يقبل الحق من حيث أتى، وحتى لو كان من مخافه، وينبغي أن لا يحمله خلافه مع محاوره على أن يرفض ما معه من الحق، وإذا كان المسلم على هذا الخلق فسرعان ما تطيب نفس المخالف له وتذعن للحق لأنـه سيشعر بعظمة هذا الدين وتقديره واحترامـه للمـقـابـلـ.

المصادر: